

فى الرىف استعدادا للوالد والأعياد والأذكار ، أما قصته العسكرى محفوظ فلها كيانها المستقل وإيحاءاتها المختلفة ، والقصة القصيرة « مثل الفريك لا تقبل الشريك » فهى لا ترضى أن يزاحم فعلها فعل آخر ، فما بالك وهو يحاول أن يساويه فى المكانة . . ثم يطغى عليه ! (٤) .

كانت ولادة بقرة علوان سهلة ميسرة ، وتوحى بالأهل الذى يحرص على إبرازه كتاب الواقعية الاشتراكية ، وكانت أسرة عاوان أسرة ريفية أصيلة تعرف كيف تتعامل مع الآخرين ، ومع دوابها ، وعلمتها خبرتها فى الحياة كيف تسير الأمور فى مجراها الطبيعى ، وكان منهجها هو الحب . . الحب لكل الكائنات ، وهو - كما سبق أن ذكرنا - حب واء يقظ لا يحدد عن جادة الصواب ، وكانت الولادة فى قصة « العجل » متعثرة ، كما فى قصة سيد الكفراوى : « فى حضرة أهل الله » (٥) . وربما كان لهذه الخبرة دخل فى قتل الوليد بقصة « العجل » فصاحب الخبرة الأصيلة شيخ فى التسعين عرف أن البهيمة - وهى جاموسة هذه المرة - ستلد مع الفجر ، ولم يشأ ولده أن يوقظه ، فماذا يستطيع أن يفعل وقد وهن العظم منه ؟ . . رآه ابنه يهبط الدرجات مشمرا عن ساعديه . تساءل الولد : « لماذا يشمر هذا الرجل عن ساعديه . . المهمة تحتاج الى جهد كبير أصبحت المسألة معقدة وتحتاج بالفعل الى طبيب ، ما العمل ؟ البقره عنده أغلى من روحه ، والعجل الصغير هم فى حاجة اليه (. . .) وهسل سلترك الوقت يمضى وكل واحد يتقدم اليها فيعبث فى بطنها ، لا لقد حاولت أن أقوم بالمسألة وحدى فى صمت . . لكنها ليست يسيرة كما تمنيت » . ويحاول الأب مع العجل لكنه يبدو عاجزا تماما .

وقد تنسب عدم الخبرة الى الكاتب نفسه ، والنتيجة - فى زعمنا - واحدة ، وتبدأ عدم الخبرة مع البداية ، رأينا فى قصة « ابتسامة القمر » كيف تعاملت الأم مع « اللببة » كانت البقرة تدب بحافر قدمها اليسرى الخلفية مرعشة جلد ظهرها الأحمر . كانت تحرك قدمها بصعوبة ، والأم تتحسس برفق بطنها ، ثم ضرعها ، تمس جلدتها مسافيقا شفوفا ، مس أم تحنو على وليدها ، تمضى براحة يدها للأمام حتى كتف البقرة ، تدغدغ لها بأصابع كفها الخمس تهدلات جلد « لبيتها » أسفل العنق . زحفت براحة يدها الى أعلى حتى وصلت أصابعها الى أذنى البقرة تهرش فى شعر رأسها حول حبل « الرواسة » المنغرس فى جبهتها ، وحول قرنيها الصغيرين تهرش لها والبقرة مستكينه مستطبية الهرش ، حتى تنبسط الكف فى عطف لتصل الى فمها ، مستقرة حوله فى أمن وإداع ، وكانت كفها لاتزال مبسوطة أمام فم البقرة تتحسسها فى حنان حين هبطت البقرة برأسها قليلا ، ثم رفعته فجأة مطوحة به الى يسارها تمد أنفها